# لُوكيوس أبوليُّوس [ أفُولاي ] ورحلة البَحث عن الهوَّية

شريف الدّين بن دُوبه
جامعة سعيدة

**Resume**

littérature et réalité c'est une axiome dans la théorie de la littérature, on peut plus démontrer, car les chefs-d'œuvre littéraires c'est des modèles qui présente les actes, et les faits humains, et les métamorphoses d'Apulée de Madaure auteur du IIe siècle après Jésus-Christ, originaire d'Algérie.

*les Métamorphoses* ou *L'Âne d'or*, en onze livres. C'est le récit, fait à la première personne, d'un certain Lucius, un jeune homme curieux de tout, qui, s'étant frotté de trop près à la magie, se voit transformé en âne. Et Dans cet article on traite l' œuvre d' Apulée comme document historique contient le problème d'identité chez l'algérien, qui trouve dans ca diversité culturelle une problématique concernant sa stabilité identitaire, et avec Apulée on trouve l'identité comme un nouveau espace, un lieu de rencontre entre les êtres

**الملخَّص:**

تعتبر رواية الحمار الذهبي للمفكّر الجزائري- النوميدي لوكيوس ابوليوس من الروايات الأولى في تاريخ الأدب الروائي، ويعتبرها البعض من مؤرخي الرواية أول رواية في التاريخ البشري والتي سجّلت هاجس الإنسان، ورحلته الفطرية في البحث عن الهوية، وعلة انتقائنا لهذه العينة راجع لمؤشّرين: الأول تأكيد صاحب الرواية نفسه على هويته المداورشية، والتي تربطه بمكان الولادة، فإذا كانت هوية الكاتب كمن كتبه، فهوية لوكيوس ابوليوس بموطن ولادته مداورش، والتي هي الآن مدينة جزائرية تابعة لولاية سوق أهراس، والتي هي في الأصل سوق الأخرس حسب الأستاذ يوسف كرم..إذ تأكّد من خلال الدراسات إصرار لوكيوس على نسبته إلى مداورش.. وهذا تأكيد على الهوية الأمازيغية او النوميدية او الجزائرية.

والمؤشّر الثاني للاختيار عائد إلى الرواية نفسها، والتي تبدأ بإعلان لوكيوس عن مضمون الرواية نفسها، والذي تعلق بتحوّلات الهوية،حيث يقول:"...ستعجب كيف يتخذ بعض الناس أشكالا غريبة ثم يستعيدون صورهم الأصلية على وجه مغاير.. والهويّة في نظر لوكيوس غير مرتبطة بالفردية البيولوجية، أو الانتماءات الثقافية، و الإثنية، بل مرتبطة بالجوهر الذي هو العقل، فالمؤشرات الثانوية في الهوية تؤسس للشخصية المادية، التي هي بالأصل متعلقة بالوجه الحيواني اللامعقول في الشخصية الإنسانية، أمّا العنصر الكريم في الهوية، والذي يكون الصفة الذهبية في الحمار، هو العقل المستنير بوحي المقدس، فإنسانية الإنسان عند لوكيوس لا تتحقق إلا بالتحرُّر من هوية الحمار، والاستنارة بنور العقل الذهبي (الوسطية) النور الذي يمكّنه من إدراك ذاته، ومعرفة غيره، وهو النور المستنير بكونية الإنسان.

## مدخل :

مساءلة العينة البحثية المستثمرة في التعاطي مع هذه الإشكالية تتحرك داخل فضاء من الذاتية المركبة لانطولوجيا الهويّة، أولا من حيث الوضعية التي دفعتنا إلى الانتقاء، لأن الاصطفاء أو اختيار الموضوع لا يخرج عن نوازع الكاتب الذاتية والثقافية، وثانيا:الوضعية التي ورثتها الثقافة الجزائرية عبر التاريخ بكل مضامينها الفنية والفكرية، ودورها في إثارة استشكالات حول هويّة الجزائري، مثل المساءلة عن لحظة انبثاق الهوية الجزائرية، وارتباطها بالتاريخ السياسي، الذي يتزامن مع ميلاد السلطة، التي جسدت العلاقة بين الحاكم، والمحكوم، والتي سجلت تاريخ الصراع، والنزاع بين بني آدم، وأنستهم وحدتهم النوعية، والوجودية، فالتاريخ الذي خلّده التاريخ هو تاريخ الملوك، والأباطرة، والعظماء، والذين لا يمثلون إلا العشر من المجتمع الإنساني، أما البقية، والسواد الأعظم، فقد طمرته السلطة في مطامر التاريخ.

الجماعة البشرية التي استوطنت إفريقيا الشمالية، أو نوميديا، أو الجزائر، لم تكن تملك انتسابا مواطنيا، أو مدنيا قبل الاحتلال الروماني، كأن حضورها في التاريخ قبل الرومان يسقط عنها، هويّتها الوطنية، أو المدنية، فالحقيقة توجد، وتدفن دوما مع الضحية، ولذا يجد الباحث في الحركات الثورية، والمعارضة بعضا من خيوط الحقيقة.

وقد أضيفت مسحة إشكالية على فكرة الجمع بين تاريخ إفريقيا، والأمازيغ في مستويات متعدّدة، سوسيولوجية، وسياسية، حيث اعتبر رواد السياق الاجتماعي الأمازيغية خصوصية نوعية وعرقية، وليست فقط خاصية ثقافية، وعند الفريق الآخر تبلورت في الحركات الجمعوية الأمازيغية والتي انخرطت في النضال السياسي، والاختلاف حول الأصل الذي يرجع إليه الأمازيغ يكشف عن أدلجة للمسألة، وفي دراستنا سنستقر على حقيقة وهي وجود الأمازيغ، أو البربر كما يسميهم البعض في شمال إفريقيا قبل الرومان.

وستكون رواية الحمار الذهبي عيِّنة البحث، باعتبارها أوّل رواية في تاريخ الإنسانية، وإن كانت من بنات الأفكار الذاتية والقومية، وبما أنها الرواية الأولى، فقد كانت لفن الرواية مرجعا تقعيديا لكثير من معالمه، ولمعاييره القيمية، فهي من حيث المضمون تحوي العديد من القصص والحكايات داخل الرواية، ومن لطائف البحث أن عنوان الرواية الرئيس: الحمار الذهبي، أو

الفرعي: التحوُّلات يتقاطع مع إشكالية المؤتمر: الهويّة والاختلاف.. والرواية كجنس أدبي تطرح تحوُّلات الهويّة، والبحث الدؤوب للإنسان عن ثوابت أمام متغيِّرات الهوية، فقد سجل الأدب من خلال هذه الرواية تفكيره في الهوية من قبل كاتب عرف بانفتاح هويّته، على المستوى المدني، والثقافي، فمن الناحية المدنية نجد أنفسنا أمام إشكال سياسي تاريخي يتجلّى في لحظة انبثاق فكرة الهوية، والانتماء، فسكّان شمال إفريقيا، وبالضبط جغرافياً غرب مصر لا نجد دقة في تحديد السكان الأصليين للمنطقة، فالجيتوليين كسكان للمنطقة، والذين ينتسب إليهم فيلسوفنا أبوليوس هم أقدم جماعة ذكرها التاريخ استقرت شمال إفريقيا، إذ وردت في كتاب الحرب على يوغرطه للمؤرخ سالوستوس في فقرات متعددة من الكتاب: الأقسام:18-19-80-88-97-99-103 .[1]

وهو المفكّر الجزائري- النوميدي[2] لوكيوس أبوليوس حيث سجّل في روايته هاجس الإنسان، ورحلته الفطرية في البحث عن الهوية، ففي البداية يصرح بمضمون الرواية نفسها، والذي يتعلق بتحوّلات الهوية، حيث يقول:«... ستعجب كيف يتخذ بعض الناس أشكالا غريبة ثم يستعيدون صورهم الأصلية على وجه مغاير...»[3]

والهويّة في نظر لوكيوس لا ترتبط بالفردية البيولوجية، أو الانتماءات الثقافية، والإثنية فحسب، بل مرتبطة أيضا بالجوهر الذي هو العقل، فالمؤشرات الثانوية في الهوية تؤسّس للشخصية المادية، التي هي بالأصل متعلقة بالوجه الحيواني، اللامعقول في الشخصية الإنسانية، أمّا العنصر الكريم في الهوية، والذي يكون الصفة الذهبية في الحمار، هو العقل المستنير بوحي المقدس، فإنسانية الإنسان عند لوكيوس لا تتحقق إلا بالتحرُّر من هويّة الحمار، والاستنارة بنور العقل الذهبي (الوسطية) النور الذي يمكّنه من إدراك ذاته، ومعرفة غيره، وهو النور المستنير بكونية الإنسان.

ولد أبوليوس أو أبولاي، أو أفولاي ـــ بالأمازيغية في أوائل القرن الثاني حوالي 125 م بمادورا أو مداورش وتوفي حوالي 170م إبان الامتداد المسيحي بقرطاج.ومادورا أو مداورش Madaura التي ولد فيها أبوليوس:« مدينة نوميدية قديمة، كانت تنتمي إلى مملكة سوفاكس [القرن الثالث قبل الميلاد] ثم ألحقها الرومان بمملكة ماسينيسا Massinissa مابين القرن الثالث والثاني قبل الميلاد مع نهاية الحرب البونية [4] الثانية [218 -201 ق.م] وبعدها أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول كانت مشهورة بمدارسها وعلمائها وأساقفتها...يمكن الآن رؤية أطلال مادورا قرب مدينة مداورش بالجزائر الحالية.»[5]

كما كانت مادور مدينة علمية في ذلك العصر، حيث استقى فيها أبوليوس مبادئه الأولى، مثل الكثير من أعلام ذلك العصر في الفن، والثقافة، حيث تردد عليها القديس اوغسطين، وكانت مدينة الخطيب المشهور ماكسيموس زميل اوغسطين في الدراسة، وفي المدينة ايضا درس:« المؤرخ المغاربي القديم مارتيانوس كابيلا أحد ناقلي منطق أبوليوس إلى القرون الوسطى.»[6]

عرف بعصاميته، وشخصيته القوية، يقول اندري جوليان:«كان أبوليوس من أشهر الكتاب الأفارقة، لقد كان غريب الأطوار كثير المتناقضات، فهو جدّي وطائش، متطيّر، وشاكّ معجب بنفسه، طليق اللسان، لا يطيقه الناس، ويبهرهم في نفس الوقت...» [7]

ورغم أن "مادور" أو مداورش كانت تشتهر آنذاك بكونها مركز إشعاع ثقافي معروف إلا أنها لم تكن كافية لإرواء الظمأ المعرفي للمفكر"أبوليوس" حيث تابع دراساته في مراكز علمية أخرى مثل قرطاج العاصمة العلمية آنذاك في شمال إفريقيا، حيث تابع دراساته العالية هناك، يقول في قرطاج:« إني لا أرى في مدينتكم إلا رجالا كرعوا من مناهل الثقافة، وتبحروا في جميع العلوم: أخذوا العلم صغارا، و تحلوا به شبانا ودرسوه شيوخا، إن قرطاج لهي المدرسة المقدسة في مقاطعتنا، و هي عروس الشعر في إفريقية، و هي أخيرا، ملهمة الطبقة التي تلبس الحلة».[8]

كان يعترف بثقافته الإفريقية وهويته الأمازيغية، إذ كان يقول:" لم يتملكني في يوم من الأيام أيّ نوع من الشعور بالخجل من هويّتي ومن وطني"، ويقول أيضا، بكل اعتزاز وافتخار:«أنا نصف جيتولي[9] ونصف نوميدي، فلا أرى ما الخجل في ذلك بالنسبة لي...والمفروض ان ننظر لا الى منشأ الفتى بل الى خلقه ونعتبر لا في أي أرض بل وفق أي نهج يعتزم العيش».[10]

ويقول مخاطبا القرطاجيين كاشفا عن انتمائه المدني:«مسكني ليس بعيدا من هنا قال

يخاطب جمهوره في قرطاج، طفولتي جعلتكم أهلي، معلمي ليسوا غرباء عنكم.. موطني في مكانه بمقاطعة افريقية، هو موطنكم كذلك، مررت طفولتي بينكم، معلمي هم انتم، أطروحتي الفلسفية حتى إذا كانت قد نضجت بأثينا في اتيك فإنها قد انبثقت هنا.»[11] واستكمل لوكيوس ثقافته برحلات قام بها في ايطاليا واليونان، وآسيا الصغرى، وفي أثينا أغرم بالأفلاطونية المدرسية، ولاشك انه ارتاد دروس مشاهير السفسطائية.

عاش أبوليوس حياة العبقري المبدع، كما أحبّ المعرفة، وزهد في السياسة، وعشق المغامرة

والسفر، وبقي مستمرا في التأليف والخطب والمحاضرات التي كانت أقرب الانشغالات إلى نفسه، حتى عجز عنها وتفرغ بعدها للتأليف.عرف بأخلاقه الرفيعة التي جعلته يبلغ مجدا قلّ نظيره في سن الثلاثين، كما دفعه فضوله المعرفي، وحبّه للإطلاع، وللعلوم إلى تخصيص جزء هام من ثروته التي ورثها عن أبيه لبناء المدارس والجامعات، وحرص على تقاسم وتعميم معارفه مع مواطنيه كمحاضر متجوِّل خلال تنقلاته الكثيرة، مقتديا بالفيلسوف سقراط، ويسجل التاريخ بأنه كان محل تعظيم وتقدير من طرف أهل مادور [مداورش ] والدليل على ذلك النصب التذكارية، والتماثيل الموجودة في متحف مادور، أي في الموقع الأثري الواقع على بعد أربعين كيلومترا من سوق أهراس، وقد قام الكاتب أحمد حمدي بتقديم نص مسرحي حول حياة أفولاي أبوليوس سنة1987 ونشر النص ضمن منشورات اتحاد الكتّاب العرب في سورية سنة1990

## مؤلفاته :

### الحمار الذهبي :

التحوُّلات أقدم رواية لاتينية، ويعتبرها البعض أول رواية نظرا لتميزها بالاكتمال،[12] وقد نقلت إلى العربية من طرف المفكر الليبي علي فهمي خشيم[13] ، عن الانجليزية، بعنوان: تحوُّلات الجحش الذهبي[14]، وترجمها الأديب الجزائري أبو العيد دودو من الفرنسية: الحمار الذهبي، [منشورات الاختلاف الطبعة الثالثة 2004 ] ثم نقلها من اللاتينية إلى العربية عمّار الجلاصي، بعنوان الحمار الذهبي أو التحوُّلات.

وتتضمن الرواية رحلة البطل لوكيوس الى مدينة تساليا لزيارة أقاربه، حيث يحل ضيفا على البخيل ميلو الذي كانت زوجته من أهم الساحرات، حيث يعيش مغامرات مع خادمة المضيف، ومنها تمكينه من معاينة التحول عبر السحر، فيعيش تجربة عكسية مع رغبته التي كانت في الطيران، والتحليق إلى عالم السماء، فيصبح حمارا يعايش معه، وداخله تجارب إنسانية يومية متنوعة يغلب عليها طابع الانحراف عن القيم، كما حملت الرواية على جملة من الرموز أهمها الإشادة والتمجيد بالديانة المصرية، ومعبودتهم ايزيس في مقابل الآلهة الرومانية التي تتحكم في مصائر البشر بطريقة ذاتية تجعل من البشر آلات في تحقيق مرادها، ورغباتها الشهوانية، وأجد في هذا إشارة من أبوليوس إلى أباطرة الرومان الذين كانت الآلهة عندهم مجرد أدوات لتبرير، وإضفاء الشرعية والمشروعية على استبدادهم.

## عن آلهة سقراط de deo socratis :

هذا الكتاب في الأصل محاضرة قدم فيها أبوليوس تصوره للعالم، الذي يظهر فيه الأثر الأفلاطوني الأثنيني الذي يقسم العالم فيه إلى عالم مرتبط بعالم المادة، والحس، وعالم متعال، ومجرّد، ومترّه عن الحسّيات، ويطرح فيه كيفية التواصل بين العالمين، العلوي، والسفلي، والذي تتكفل به قوى يصطلح عليها بالديمون les démons الذي يترجم أحيان بشيطان سقراط، والذي يزحزح الدلالة المقصودة، وأجد وحي سقراط أقرب إلى المعنى من حيث الوظائف التي يؤديها الديمون، يقول أبوليوس:«يوجد الديمون في مكان متوسط بين الآلهة وبيننا انطلاقا من ميدانه الخاص وطبيعة ذكائه فهو يشارك الكائنات العلوية خاصة الخلود، ويشارك الجنس الأسفل خاصية الشقاء فهو مثلنا تماما لهم نفس خاصياتنا تعاني من نزعات النفس وتقلبها بين السكينة والثورات..وهي كيانات متناهية في الجوهرية.. وتقيم بشكل متخف عن كل البشر، اللهم إلا إذا كان هناك سبب وجيه لظهورها أو إذا طلبتهم الإرادة الإلهية لذلك.» (15)

## المرافعة أو الدفاع Apologie :

مرافعة، أو خطبة مطولة، تحاكي دفاع سقراط، حيث وجد نفسه أبوليوس في قفص الاتهام، حيث وجهت له تهما عدة، قسّمت إلى ثلاثة أقسام: الأول أنه رجل جميل، وبليغ، والتهمة الثانية التي توجه له، وهي ممارسته السحر، تعرض فيها لاهتماماته المعرفية، ولخصوصيات الفيلسوف الجمالية، حيث يذكر فيثاغورس، وحرصه على النظافة، والأناقة، فالفلسفة عنده لا تشير إلى البؤس، فهي ليست انزواء، ومحاكاة للكلبية cynics فقط، فشراءه للسمك تحول إلى مسوغ للاتهام بامتهان السحر، والقسم الثالث قام بالدفاع فيها عن زواجه من الأرملة بودنتيلا، والتي أفحم فيها خصومه بالحجة، والبرهان، وقد نقلها إلى العربية عمار الجلاصي من اللاتينية.

## الأزاهير les Florides :

مجموعة من الخطب،ويعتقد ابوالعيد دودو أن هذه الخطب ليست كاملة، بل هي منتخبات، ومقتطفات، فهي "ليست سوى مقتطفات اختارها ناسخ ما مكتفيا بما أعجبه منها"وهي تتكون

من ثلاث وعشرين خطبة، وهي :« مقسمة الى اربعة كتب، يحتوي الأول منها على تسع خطب، من بينها مقارنة بين نظر الرجل، ونظر النسر، وخطبة عن الهند وفلاسفتها، وعن الإسكندر ويحتوي الثاني على ست خطب من بينها خطبة حول العناية الالهية، وعن الببغاء، وعن أغاني الطيور،وعن كراتيس الكلبي، وعن بروتاغوراس ومدرسته وعن الفيلسوف هيبياس»[16]

وله كتبا متنوعة، وفي تخصصات متباينة، فلسفية، وخطابية، وعلمية، منها: كتابين عن تعاليم أفلاطون، وكتاب عن العالم، وكتاب النوادر وهو مجموعة قصائد قصيرة، وكتاب أقاصيص يحمل مجموعة قصص ومغامرات وغرام، وكتاب قضايا الطبيعية، وكتاب الأسماك، وكتاب الأشجار، وكتاب الريف، وكتاب تطبيبات، وكتاب الفلك، كتاب رياضيات، وكتاب الموسيقى، وكتاب الفلسفي الجهورية، وكتاب الفلسفي فيدون، ورواية هيرماغورس.

## شخصيته الأدبية والفلسفية :

من يكون أبوليوس؟ سؤال بغرض التعجب، والإكبار يطرحه عبد السلام بن ميس حول هذه الشخصية التي جمعت فنون العلم، والمعرفة في كيان واحد فيقول:« لقد كان هذا الرجل في نفس الوقت خطيبا ومحاميا وفيلسوفا، وناقدا فنيا ومؤرخا ونحويا، وشاعرا ورياضيا ومنطقيا وعالم فلك وعالم تشريح وعالمك نفس.ومن كل هذه الألقاب كان يفضل لقب [فيلسوف]..»[17]

وكان أفولاي أبوليوس متقنا للغة اللاتينية، واليونانية، إضافة إلى لغته الأصلية الأمازيغية التيفيناغ ، يقول عبد السلام بن ميس نقلا عن مونصو [ Monceaux]:« لم يكن أبوليوس يعرف في البداية الا لغة بلده، أي اللغة الأمازيغية أما اللغة اللاتينية واليونانية، فلم يتعلّمها إلا بالمدرسة، وكان يتحدثهما بطلاقة مع لكنة أفريقية. وبعد نهاية دراسته الابتدائية في مادورا تم إرساله إلى قرطاج ..وهناك درس أبوليوس اللغتين اليونانية واللاتينية والفلسفة».[18]

وعرف أبوليوس (افولاي) بملكته الخطابية العالية، فقد كان فصيحا، وقد عبر في مرافعته عن مرجعيته في الفصاحة، فهي حصاد جد، واجتهاد علمي، وليست معطى، وحي إلهام، جاء في المرافعة:«.. أما الفصاحة. فإن يك لي فيها حظ. فلا ينبغي أن يعد ذلك أمرا غريبا ولا مكروها، إذ عكفت منذ فجر العمر على دراسة الأدب على أبرز رجاله. مزدريا في سبيل ذلك كل ملاذ الحياة الأخرى، ولعلي نشدتها أكثر من كل الناس بمجهود جبّار ليلا ونهارا دون مراعاة لصحتي

وعلى حسابها. لكن لا يخافن قطّ من الفصاحة التي إن أظهرت منها نزرا يسيرا، فأنا لا أبديها بقدر ما أرتجيها»[19].

يتضمّن النص حكماً جمّة في التربية، والتعليم، فهي نتاج بحث وممارسة مستمرة، وتضحية، فبلوغ المعرفة، والحكمة لا يكون إلا بالتضحية بملذات الدنيا، وبهرجها، ويعترف أبوليوس بأن نهاية الفصاحة، والمعرفة غير ممكنة، فهي لانهائية، فعلى حدّ قوله مهما كانت قدرتي، وملكيني من الفصاحة، تبقى مطلبا، فالحقيقة لا تظهر في امتلاكها، بل في السعي نحوها.

كما يصنّفه البعض من الباحثين ضمن المدرسة السوفسطائية الجديدة التي ميّزت القرون الميلادية الأولى، وهي النزعة التي جعلت من إحياء الفلسفة الأفلاطونية، والأرسطية هدفا لها بعد أن عرفت ركودا في الحقبة الهلنتسية، ويقول عبد السلام بن ميس:« ينتمي أبوليوس إلى فترة أدبية فرعية سميت بالفترة السفسطائية الثانية (180/117 م) تمتاز هذه الفترة بإحياء الاهتمام بالريطوريقا والفلسفة بصفة عامة وبالتنقل بين المراكز العلمية وكثر فيها الإنتاج الفكري والاختلافات الثقافية بحكم اتساع الإمبراطورية الرومانية، وتعدّد شعوبها..»[20]

## لوكيوس أبوليوس و أزمة الهوية :

تضعنا هوية مؤلّف الرواية " لوكيوس أبوليوس" أمام استشكالات عديدة لهويّة الجزائري، ولسكان شمال إفريقيا خصوصا في العهد الروماني، إذ تصوِّر الرواية شخصية الجزائري أو المغاربي وهو يعيش حالة التحوّل، والتأرجح الشخصي، والبحث عن الذات، فهو شخص ومواطن روماني، على قاعدة التبعية الاستعمارية التي كانت فيها الجزائر للإمبراطورية الرومانية، ومداورشي (جزائريا) مولدا، وقرطاجي ثقافة، وإغريقي فكراً، يقول اندريه جوليان:« يتعذّر أن نعرف بالضبط هل إن كتاب أفريقيا ينحدرون من معمرين رومان، وأغلب الظن أن أكثرهم كانوا من البربر المتأثرين بالحضارة الرومانية الذين عبروا في لغة الفاتحين عما كانت اللغة الليبية والبونيقية عاجزة عن دونه».[21]

يرفض البعض من المفكرين العرب، المغاربة إدعاء شارل اندريه جوليان القائل بعجز اللغة الليبية عن استيعاب الفكر، والمعاني العلمية، والأدبية، مثل الأستاذ عباس الجـــراري[22] الذي يرى أن التاريخ احتفظ بأسماء غير قليل من الأدباء والفلاسفة وعلماء الدين الذين تخرجوا في هذا التعليم

من مختلف أقطار الشمال الإفريقي، وعبّروا باللاتينية في الغالب لأنها كانت لغة الفاتح المستعمر، وليس لأن اللغة الوطنية كانت قاصرة .. [23]

## الانتماء الجغرافي والمدني:

أبوليوس أو أفولاي جزائري بمؤشّر المولد، إذ يعرف باسم أبوليوس المداورشي نسبة إلى مداورش اومداور، والتي ولد فيها حوالي 124 أو 125 بعد الميلاد « وقد كان موقعها على الحدود بين غيتوليا نسبة إلى قبيلة جدالة ونوميديا.ويكون تونسيا أيضا أو" قرطاجيا" بالمكانة العلمية، وبالحضور العلمي والأدبي؛ إذ برزت الشخصية الأدبية من خلال النبوغ في فن الخطابة، كما تشرفت تونس أيضا بمؤشر الوفاة، حيث استقر في ثراها، إذ توفي في تونس حوالي 170 م. كما يحق لليبيا أيضا الادعاء بالمشاركة في تركيب هويته على قاعدة الاستقرار " توقف في مدينة " اويا " وهي "المدينة التي تحمل اليوم اسم طرابلس الغرب، عاصمة ليبيا الحالية. كانت أويا واحدة من المدن الثلاث إلى جانب سبراتا ولبتس ماكانا التي شكلت ما عرف بـــــتريبوليتانيا القديمة[TRIPOLITANIA, TRIPOLIS]. ومن المعتقد أن الفينيقيين هم الذين أسسوها. لكن الرومان حكموها من 146ق.م حتى 450 م. ثم بعد ذلك دخلت تحت سيطرة الوندال(ق5م) وبعدها تحت تحت سيطرة البيزنطيين [ق6م]،إلى أن دخلها العرب عام 645م» [24]

وما ينبغي التأكيد عليه هو حرص أبوليوس على الإشادة دوما بهويّته:«لم يتملكني في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من هويّتي و من وطني،[ويقول أيضا، بكل اعتزاز وافتخار]: أنا نصف كدالي أو جيتولي و نصف نوميدي» [25].ومن الذين دافعوا عن أمازيغيته محمد شفيق الذي أدرجه إلى جانب المسرحي تيرنيسي آفـــر أو تيرنتيـــوس آفر [26] Publius Terentius Afer ضمن أدباء الثقافة الأمازيغية في عهد الوثنية الذين تثاقفوا مع الأدب الإغريقي واللاتيني.[27]

و اتّخذ الباحث محمد حندايـــن من أفولاي" مثالا للشخصية الأمازيغية القوية في الأدب العالمي القديم الذي تعلم كثيرا من اللغات، وألفت كتبا عديدة أشهرها روايته "الحمار الذهبي" التي أثر بواسطتها على الرواية العالمية القديمة، وأبهر الرومان والإغريق إلى درجة اهتمامهم له

بالسحر[28]ونفس الموقف سيتخذه الكاتب الليبي الدكتور علي فهمي خشيم حينما اعتبر أبوليوس كاتبا إفريقيا أمازيغيا، كان ينتقل بين الجزائر وقرطاج وليبيا، وعد "الحمار الذهبي" أول نص روائي.بيد أن ثمة باحثين أدرجوه ضمن الأدباء اللاتينيين، و نزعوا عنه الهوية الأمازيغية. ويتبيّن أن هويّة أبوليوس جزائرية المولد، أفريقية المنبت، أمازيغية الأصل، و رومانية الجنسية، وإغريقية الثقافة والفكر، وشرقية المعتقد.

## الانتماء الثقافي:

الملاحظة الأولية لشخصية أبوليوس الثقافية تظهر من خلال اسمه، فهو الفيلسوف المادوري الأفلاطوني، فالثقافة القاعدية تبدأ في مادور، كانتماء جغرافي، وثقافي محدّد بمعالم، ثم تتبلور بالكوني الذي يتجلّى في الفلسفة، يقول:« قال أحد الحكماء في حديثه عن آداب المائدة: الكأس الأولى للعطش، والثانية للمرح، والثالثة للمتعة، والرابعة للجنون.. ويمكن أن نقول عكس ذلك في حديثنا عن الكأس التي نجود بها ربات الفنون، والعلوم ... الكأس الأولى كأس معلّم الصبيان تهذّب الفكر، والثانية وهي كأس معلّم الخطابة تمده بلسان الفصاحة. إنما يقتصر معظم الناس على الانتهال من هذين الكأسين.أما أنا فإني أصبت من كؤوس أخرى سقيتها بأثينا وهي كأس الشعر ذات التخيلات المفتنة البارعة، وكأس الهندسة ذات الوضوح لناصع وكاس الموسيقى العذبة المذاق، وكاس الجدل المحفوفة بشيء من الجد والوقار، ولاسيما منها كأس الفلسفة الكونية الشاملة التي لا سبيل لاستنفادها، والتي هي لشاربها رحيق..» [29]

يعتبر أبوليوس التربية، والتعليم الأول يبدأ مع معلّم الصبيان، فهو الذي يضع الأرضية القاعدية للفكر، وإذا استنطقنا النص فإننا نجد الكأس الأولى التي نهل منها أبوليوس توجهه العلمي، وحبّه للحقيقة كان في مادور مع معلمه الأول فهو الموجه الأول للفكر، فمستقبل المرء يكون معه، فالتعليم في الصغر كالنقش في الحجر، ويشير أيضا إلى معلم الخطابة الذي يقوم اللسان، ويمنح المتعلم فصاحة في اللسان، ومن المعلوم أن أبوليوس كان مفكرا مميّزا، وخطيبا فصيحا، وهي الملكات التي اكتمل، ونضجت عنده من خلال التربية، والتنشئة في محيطه الثقافي الأول مادور وقرطاج.

وفي النص إشارة من أبوليوس إلى الوافد على ثقافته الأصيلة المادورية، والقرطاجية، وهو اليونان: أثينا، وفيها نهل من كأس الشعر الذي بلور، وفجر ملكة الخيال عند أبوليوس، فالصور الفنية وليدة الخيال الشعري، وفي النص الشعري الإغريقي مادة خام لأبوليوس في تكييف، وتليين النص الأبوليوسي، ونجد في الرواية (الحمار الذهبي) استثمارا لقضايا اغريقية بأسلوب يمزج فيه بين الثقافة الأمازيغية، والثقافة الهيلنتسية فالأسلوب الميليسي الذي يشير اليه ابليوس في البداية هو فن اغريقي، يقول عمار الجلاصي على هامش ترجمته للكتاب:« النمط الميليتي لون أدبي يقوم على جمع قصص تحتوي على إثارة جنسية عادة نشأ في مدينة ميليتوس في القرن الثاني قبل الميلاد...»(30)

وإضافة إلى الملكة الشعرية تعرف أبوليوس في أثينا على الهندسة وعلوم الرياضيات، فهي علم الوضوح والبداهة، وعلى الموسيقى التي أسّسها فيثاغورس بمعية تلامذته.. وفن الجدل أيضا استقاه من الإغريق..ولكن أبوليوس لم يكن مفكرا أو عالما مجترا بل فيلسوف استطاع بحكمته، وملكاته المميزة هضم تلك المعطيات العلمية والفلسفية، وابداع فلسفة خاصة به:«... وبالفعل فإن امبيدوقل ينظم القصائد وأفلاطون يكتب المحاورات، وسقراط يضع الأناشيد، وابيكارمس يصنف مشاهد التمثيل الإيمائي و[ اكسينوفين] يؤلّف القصص التاريخية و[ قراتاس] يصنع الأهاجي أما صاحبكم أبوليوس فهو يجمع كل هذه الأصناف ويتعامل مع ربات الفنون التسع فيوفيها حق قدرها سويا..لأن الفضل في كل عمل صالح إنما يعود إلى الجهد، أما النجاح فهو رهين الحظأما صاحبكم أبوليوس فهو يجمع كل هذه الأصناف ويتعامل معم ربات الفنون التسع فيوفيها حق قدرها سويا..لأن الفضل في كل عمل صالح إنما يعود إلى الجهد،أما النجاح فهو رهين الحظ» (31)

## النص وإشكالية الهوية :

تتقاطع مساءلة النص تبعاً للمرجعية المعيارية مع الأشكلة الإنسانية لقضية الهويّة في كثير من اللحاظ أو الحيثيات، والتي تتصدرها زئبقية المخاض البحثي؛ لأن التباين بين المدارس والاتجاهات أصبح موضوعة وبديهية في فكر المتلقّي، وإذا كانت مؤشرات الهوية ومقاييسها في مدٍّ، وجزر بين علماء السياسة والاجتماع، فكذلك الشأن بالنسبة إلى أصالة النص كانت ولا زالت بين مدارس النقد الأدبي تطرح آفاقا جديدة من الاعتبارات والمعايير في تقييم النص الأدبي.

ويمكن الاستئناس بالتعبير الكانتي (Kant) في مسألة الفلسفة في قوله:" يعتقد المقبل على دراسة الفلسفة أنه سيجد كتبا لقراءتها ويحفظها في الفلسفة، ولكن الفلسفة هي بحث وليست فلسفة .." وكذلك الحال بالنسبة إلى الدراسات النقدية في الأدب، لا تقدم للمقبل على الدراسة في هذا الحقل علما قائما بقوانينه، ومعاييره، يخضع له النص للبحث أو التقييم، بل أفق النقد، وأرضية التقييم تتلوّن بكل توجّه نحو النص، وعلى مدار الزمن صنف الإنسان البعض من المأثورات الأدبية في قائمة النموذج ، فأصبح الإنتاج النصي ملزما بمحاكاة ذلك المقياس، لمنحه أهلية الترتيب ضمن النصوص العالمية، كما أن معايير العالمية أو الإنسانية التي تقاس بها الإبداعات الأدبية، والفنية تحتاج هي أيضا إلى مراجعة أكاديمية متعالية على كل ارتباط مؤدلج ببنيات ثقافية، أو جغرافية..

وقد كانت هذه الذاتية بمصاديقها الفردية أو الجماعية أس التراجع والتأخر الذي حايث النمو والتطور في داخل الحقل الأدبي، فمحاكاة البحث في النص لدراسة الإنسان، تضع البحث والباحث في قفص الوعي المزدوج؛ إذ يتخفى كجوهر داخل النص، ويتماهى معه، لدرجة يصبح النص بديلا عن الكاتب، أي إعلانا عن نهاية أو موت الكاتب.

النص كمؤسّسة، أو كمخاض للكاتب يضع الأصل النصي، أو الفكرة الجوهرية التي كانت تشكل الماهية الأولية للنص المبدع أمام محك المؤسسة اللغوية، تلك المؤسسة المقننة، من خلال نظامها الصرفي، والنحوي، والسيمانطيقي (Sémantique)بخاصة حين يجد المؤلِّف نفسه ملزما باقتفاء، وتكييف المعاني المركزية للجنين الإبداعي مع عالم غريب عن طبيعته، والذي قد يكون مولِّدا له في صيغة السلب؛ أي في وضعية الحرمان الذي يلعب يؤدي دور المحرِّك للعمل الفني؛ الحاجة أم الاختراع،فلمسة المؤلف هي المدخل للأهلية الإنسانية وللإبداع الفني؛ لأن قوة، وقسرية المنظومة الاجتماعية كلغة أو كثقافة تضع العموم من المنتوج الفني أمام ضرورة المحاكاة والإتباع.

أما العائق الرئيس في الدراسات النقدية والأدبية، فهو الوعي الذي يكمن وراء كل حكم أو توصيف للنص؛ لأن شرطية المتلقي، وموقفه القيمي من العمل الفني يكون مؤشرا أو معلما من المعالم المؤسسة لعالمية أو إنسانية الأثر الفني، فإقصاء الأذن أو العين من مقاييس الإبداع هو إلغاء للفن ككل، أما التجلي الخفي للوعي، فيظهر أيضا عند الباحث في النص، إذ يقف عائقا أمام الموضوعية في الحكم، وفي دقة النتائج، و ما يؤكّد ذلك نزعة التقزيم الأوروبية للنص العربي أو

الإسلامي، أو النص المفارق لروح الغرب، والتي اكتسحت الفكر العربي في مرجعياته التقييمية للنص، فكانت النتيجة النزوع نحو التقزيم داخل النص العربي، والذي يعكس مظهر العنصرية الفكرية التي أسّست لها الحداثة الغربية، والتي لم تترعرع إلا عند البعض من أنصاف الأدباء، وكانت التوجّهات المذهبية المرجعية المؤدلجة للفكر الذي يتحرّك في فضاء إسلامي، فكان الخلاف والاختلاف في مسألة العلاقة القائمة بين الهويّة والنص.

## الرواية الأنوية : لوكيوس مؤلِّفا، وبطلا :

يمكن إدراج رواية الحمار الذهبي في جنس الروايات الأنوية، أي النص الذي يتحدث فيه الكاتب داخل المتن بصيغة المتكلم، حيث يظهر التقاطع بين الرواية و شخصية أبوليوس في كثير من اللحاظ، مما حدا البعض من النقاد إلى القول بأن الشخصية المركزية في الرواية ليست إلا شخصية الكاتب نفسه، والفقرة التالية من الكتاب الثاني تشير إلى الدلالة:«... ذكر لي أشياء.. كانت عجيبة ومتنوعة إلى حد ما، فتنبّأ لي حينا بأنني سأصبح شخصية شهيرة بارزة، وتنبأ لي حينا آخر بأن حادثة كبيرة وقصة غريبة لي وانّي سأقوم بتأليف كتاب أكون أنا نفسي محوره.»(32) ومن خلال النص يتجلى التداخل القائم بين شخصية الرواية، وشخصية المؤلّف فهي إذن تعبير صادق عن تجارب المؤلّف الذاتية، فالثقافة القائمة آنذاك، والتي كانت قاسماً مشتركاُ بين أبناء المنطقة في التربية نتاج تاريخي وحضاري لحضارات، وثقافات متعدِّدة رومانية، وأغريقية، ومصرية.

## لوكيوس الثائر:

تتضمّن نصوص لوكيوس أو أفولاي كثيرا من المضامين الثورية، التي يعتز فيها بأصله، وثقافته المداورية، او اللوبية كما يتفق على تسميتها البعض، ففي الدفاع، وفي الحمار الذهبي تتجلى روح المقاومة للهيمنة الرومانية، والفخر بأصالته، ففي دفاع صبراتة نجده يفخر تماما بان أصله ليبي بمعنى قديم في شمال أفريقيا، ويتحدى العالم الروماني، و يقارن نفسه بكبار المشهورين في العالم الذين كانوا عظماء عصره، و يدافع عن معتقداته، وذلك بعد رفضه للديانة الرومانية، وانطلاقه في البحث عن ذاتيته الشرقية، ويعتبر التنويه بـــــ إزيس، و أوزيريس المعبودين المصريين القديمين اللذين يمثّلان التحدّي الديني و الثقافي في العالم الروماني.

ويبدو أن البطل في الرواية معني بفن السحر، حيث يضمر في الباطن اهتماما بالإيزيسية التي ينتهي إليها كديانة وأسلوب حياة، فتحوّل لوكيوس إلى حمار، يقابله تحوّله الموازي من كائن مولع بالسفر والمخاطرة والمتعة والاكتشاف، إلى عابد إيزيس، من مغامر إلى كاهن، فالرواية تتحدّد من خلال نهايتها، وحمل الحمار لتمثال إيزيس مقدّمة للولوج في عالم النقاء والطهارة، فتجربته التأملية على شاطئ البحر مناشدا القمر (الذي يرمز إلى إيزيس ربّة القمر والأمومة عند الفراعنة) تمنحه عبر ألطافها توجيهات، ومقدّمات لحريته التي كان يأمل في بلوغها ديانة إيزيس هو شكل من أشكال الخلاص، الخلاص الأبدي من خطايا تجاربه السابقة بما فيها تحصيله المعرفي؟

## عقيدة أبوليوس :

يبدو من النصّ الموجود في مرافعة أبوليوس نزعته التوحيدية الرافضة للتعددية الوثنية، يقول:« لا أنا أول من دعاه الملك قائلا: كل الكائنات تابعة لملك الأكوان. وكلها تستمد منه وجودها. تسألون عن من هو ذلك الملك؟ علة وسبب واصل كل الطبيعة. باري النفس الأعلى. حافظ كل الأحياء الحي الأبدي. صانع كونه الدائب، لكن الصانع بلا عناء والحافظ بلا انشغال والمنشئ بلا ولادة. الذي لا يحويه مكان ولا زمان ولا أي حيز، ولذلك لا يمكن أن يتعلقه غير نفر قلائل ولا يستطيع له احد وصفا.هاأنذا أزيد ظنونك بخصوص ممارستي السحر إذن لن أجيبك يا اميليانوس عمن أعبد باسم الملك.بل حتى لو سألني الوالي عن هوية ربي لاحتفظت بصمتي.»[33]

الدلالات التي يتضمنها النص صريحة، ووافية بالقصد، واعتمادا على النص، يمكن القول أن أبوليوس كان موحِّدا من المسيحيين، وفي النص التالي من رواية الحمار الذهبي يصف ايزيس بصفات التعالي، جاء فيه:«... لقد نادتني دعوتك فجئت أنا أم الطبيعة، وسيدة العناصر كلها، وخلية الأجناس أميرة الأرواح، وملكة الموتى ، وربة السماء جوهر الالهة والالهات، ضوء قبة السماء، ونسمة البحر الشافية، ..انأ كائن، ومع ذلك فلي أشكال كثيرة، وشعائر متغيرة، أحظى بعبادة الكرة الأرضية كلها تحت أسماء متعددة..»[34] ونلمس في النص تمجيدا لايزيس، بشكل علني، والذي يعبر عن ثورته، وتمرده على آلهة الرومان، فهو شرقي المعتقد، والهوى، ولا يمت إلى الرومان إلا بصلة المعرفة والثقافة، والرمزية التي كانت تحملها المفاهيم، والألفاظ لا ينبغي تفسيرها، وتحميلها الدلالات التي يرغب القارئ المعاصر في إضافتها.

## أزمة الهوية :

تأخذ أزمة الهوية عند لوكيوس في الرواية منحى أخلاقياً، فالطبيعة البشرية ميالة نحو المحظور، فهي بالتعبير القرآني أمّارة بالسوء، وهذا راجع لطبيعة التركيبة التي جبل عليها الجسد، فهو بحاجاته يشد الإنسان مع عالم الحاجيات الحيوية، والضرورات الضيقة، ولكنه رغم ذلك يتضمن عنصرا ذهبيا هو العقل، أو النور الإلهي، والتحول الذي كان يأمل أن يصل إليه لوكيوس هو الطيران، والتحرُّر من عالم الأرض، والتشاوج مع الفلسفة، أو الحكمة، فالبومة عند الرومان رمز الحكمة، فاستخدام لوكيوس البومة في المطلب من التحويل دالة على الرغبة في السمو إلى عالم الفكر، والروح، حيث ينأى عن الناس ويهاجر إلى عالم المثل بعيدا عن عالم الفساد، والخسة البشرية.

كما يمكن أن تكون البومة رمزا للكائن الذي اختلطت فيه الرغبة الإنسانية الشريرة في معرفة الأسرار الكفيلة بالتحكم في البشر، فاختيار الساحرة للبومة كطائر، يوحي بالدلالة التي تستبطنها رمزية البومة، فالبومة في المعتقد الأمازيغي[ تاووكت بالأمازيغية] طائر يرمز للشر وهي في اعتقادهم شيطان مجسد في جسم الطائر.

كما يجسِّد « طموح لوكيوس ليصير نسرا .. حلم الإنسان العمودي، المتطلع منذ بدء الخليقة إلى التحليق والطيران، والمشدود إلى الغموض السماوي، بغية استكشاف المجهول الكامن في الأعلى (النسر هو رسول جوبتير إله الرعد كما يتردد في بعض فصول الرواية). فتشاء قدرية الحكاية الكاريكاتورية أن يلتصق بالأرض أكثر مما كان عليه حرا يتمتع بخفة كانسان، بتحوله إلى بهيمة: حمار.وهذا الارتداد من ميزة طائر إلى دونية حمار يعزز حكمة الارقمان لتجربة ما هو أرضي واستكشاف الوجود الإنساني من خلال تقمص جسم حيوان. غير أن الحيوان هنا الذي يتمثّله الحمار ما يزال يحتفظ بقيمة إنسانية هي عقل لوكيوس الذي لم يتعرّض للمسخ والتحول.»[35]

الحقيقة التي تتداخل مع اليومي، تكمن في اللامتوقع، وتحول لوكسيوس إلى حمار تعبير عن فكرة المسخ الحيواني، الذي سجله التراث الديني في صيغة العقاب الذي يسلط على المنحرفين، والمجرمين، فالانحراف عن الخط القيمي، الأخلاقي يعرِّض صاحبه للعقوبة والتقاطع الموجود بين اسم المؤلف، واسم البطل دلالة على تطابق بين الشخصيتين لدرجة تذوب شخصية المؤلف في

البطل، أو إلى الاشتراك القائم بين بني البشر في التروع نحو الشر، فإعلان الراوي أو السارد عن الاسم لوكيوس يحمل كثيرا من الدلالات، « فالتماهي مع اسم الكاتب ذاته: لوكيوس. إيهاميّة النص بواقعية المتن الحكائي، وحقيقة حدوثه بالفعل، يروم بها الكاتب تعزيز الفكرة السّحرية لقوّة ما هو لاعقلاني ولا منطقي كنمط قائم في تفسير الظواهر وقراءة الأشياء.»(36)

يشكّل الانحراف عن سقف القيم، ومنظومة الأخلاق عند أبوليوس خللا في الهوية، ومدخلا للاغتراب عن الهوية، فالتحوُّل خروج على القاعدة[énorme]، فبمجرد خروج الكائن عن معايير الإنسانية الكلية، يكون أهلا للعقاب الذي يكون في المسخ إلى كائن آخر بمحدّد إنساني الذي هو الوعي، وفي الرواية يعيش الوعي غربته بوجوده في جسد غريب عنه، وجزء منه في نفس الوقت، والذي يكون أقسى أشكال العقاب الذي يتعرّض له الوعي.

وفي الخطاب الموجّه من طرف ايزيس لأبوليوس، والذي تتجلى فيه الحكمة المتعالية، حكمة الشرق، وروحيته، التي تضع الخلق الحسن مطلبا في تربيتها، وفي النموذج المطلوب من المواطن، والذي ما نصه:«... ها أنت يا لوكيوس قد وصلت أخيرا إلى مرفأ السلام ومعبد الرحمة ولم تستفد في أي مكان من نسبك ولا من مركزك على الأقل أو من ثقافتك الرائعة نفسها.وإنما وقعت في فترة الشباب الفج بين أحضان اللذة الوضيعة وقد كان لك الجزاء السيئ على فضولك الذي لم يكون في محله وكيفما كان الأمر فقد قادك القدر الأعمى في لحظة الخطر المحدق والعذاب إلى هذه السعادة الدينية...»(37)

فإقامة لوسيوس علاقات جنسية غير شرعية مع خادمة مضيفه ميلون، وراء المسخ إلى حمار. ولن يعود البطل إلى حالته البشرية إلا بعد التوبة والدعاء باسم الآلهة والتخلص من نوازعه الإيروسية وانفعالاته البشرية العدوانية وتدخل المنقذة إيزيس.

لذلك يشيد الكاتب بإيزيـــس الآلهة المخلّصة وبالديانة الشرقية، وفي نفس الوقت يسفه بالديانات الرومانية وانحطاطها الأخلاقي عن وصفه لبعض العادات والتقاليد السائدة في عصره وهجوها نقدا وتسفيها. وقد آل هذا التحوّل الفانطاستيكي إلى معنى رمزي يجسد انحطاط الإنسان ونزوله إلى مرتبة الحيوان حينما يستسلم لغرائزه وأهوائه الشبقية، وانفعالاته الضالة، بيد أن النجاة في الرواية لن تتحقّق سوى عن طريق المحن والابتلاءات والاختبارات المضنية والاستعانة بالتوبة واسترضاء الآلهة

وفي الحكاية الفرعية الأولى من التحولات يبدأ أبوليوس في سرد التحوّل الأول الذي استهله بسقراط فيلسوف العقل، والمفكر الذي ثار على المدرسة السفسطائية، والتي ينتمي إليها لوكيوس فلسفيا، فسقراط أيضا لم تشفع له مكانته العلمية، ومقامه الفلسفي أن يحافظ على هويته، وتوازنه عندما ينحرف عن القاعدة الأخلاقية، إذ يشبهه لوكيوس في الرواية بالمتسول الذي يستجدي الناس، ولو عدنا الى تاريخ سقراط لوجدنا أن التسكّع في الشوارع، وإهمال الواجبات الأسرية من المعلومات التي نجدها في سيرة الفيلسوف سقراط، ولعل نيتشه الذي جسّد الروح الأبولونية في مقابل الروح الديونيسيوسية.

الوضعية التي أصبح فيها سقراط مناقضة تماما للنموذج الذي كان يعبر عنه، فهو نموذج الحكيم الذي يجسد بفكره، وسلوكه اللوغوس، وبانحرافه عن سقف الحكمة والعقل يكون أهلا للعقاب، والمسخ، يقول ارسطومنيس واصفا سقراط:«وحق الإله، أنك لتستحق أن يحدث لك أسوأ، إن كان هناك ما هو أسوأ، مما حدث لك، لأنك اندفعت وراء شهواتك، وانقدت لامرأة بغي، و تخلّيت عن زوجتك وأطفالك.»[38]

ونجد في قصة النفس مع فينوس دلالات متعارضة، ومتعاكسة، فقداسة الإلهة فينوس، وتعاليها استثمرته، في تعذيب النفس [بسيشي] وتسليطها العقاب عليها، يتعارض مع طبيعة فينوس المتعالية والرامزة لقيم الحب والإخاء، ويبدو أن الفيلسوف لوكيوس يرغب في الإشارة إلى طبيعة فينوس الرومانية العدوانية لمريديها بعكس فينوس الشرقية عنوان المحبة.

ونجد في المرافعة إشارة إلى الطبيعة المزدوجة للإلهة فينوس، فيقول:«...فينوس: ذات طبيعة مزدوجة، يحكم كل جانب منها نوع الألفة الآلاف الخاص به: جانب سوقي مبتذل يحكم حب العامة، لا النفوس البشرية فقط بل كذلك البهائم، داجنها وبريها(متوحشها)، ويجمع في عناقه الوحشي بقوة عاتية عنيفة أجساد الكائنات الحية الخاضعة لجبروته، ويدفعها إلى الشبق، وجانب إلهي سام: فينوس السماوية التي بيدها العشق الراقي النبيل، ويقتصر تأثيرها على البشر بل الجدي والمضني، يحبب لصنف العشاق الخاص به الفضائل بجمال العفة المميّزة له...»[39]

## خلاصة :

لا يقف النص الروائي عند دلالات البنيات اللغوية الظاهرة، على قاعدة الإمكانات الدلالية التي يستبطنها النص ذاته، لأن المعنى سيرورة ذاتية انطولوجيا، تتشكّل في كل قراءة جديدة، ومع كل متغيِّر ثقافي، وهذا ينطبق على رواية التحوّلات، فالعنوان نفسه يشير إلى الحركية، والزئبقية، فالتحوّل يقابل الثبات منطقيا، صوريا، أما من حيث الماهية فالتقاطع مطلوب، وهي الحقيقة التي أرادها الروائي لوكيوس أبوليوس، فالحقيقة وراء التحول، فالثابت هو التغير، والتثاقف، فلا تفرّد انطولوجي إلا من خلال التعايش مع الثقافات، ومعايشتها، فالتقوقع داخل منظومة ثقافية واحدة هو موت واندثار للذات، فالأنا لا يكون إلا من خلال النفي، فخلفية الضمائر اللغوية أنا، وأنت، وهو، وهم لا يتحقّق إلا مع مقابلة الآخر.

والثراء الثقافي الذي ميّز شخصية أبوليوس يعبِّر عن قدرة المواطن الجزائري على التثاقف، والتعايش مع ثقافة الآخر، حيث يظهر ذلك في انخراط أبوليوس ضمن ثقافات مغايرة لهويته: يونانية، ورومانية، وشرقية إضافة إلى محدّداته الشخصية، الجيتولية، والنوميدية (المادورية)، فالازدواجية لا توجِّه الشخصية نحو اختلال في التوازن والاتساق، كما هو متعارف عليه في علم النفس التحليلي، بل تعددية تكوينية تنصهر في إيجاد وحدة أنوية (وحدة الأنا).. وإذا قرأنا الرواية من خلال شخصية المؤلف وانتماؤه، فإننا نلمس في الرواية تأريخا لرحلة البحث عن الهوية عند الأمازيغي في شمال إفريقيا، المواطن الذي نحت اسمه وفقا لمعايير قيمية وأخلاقية، فهو الرجل الحرّ أو النبيل في لغة الطوارق الأمازيغية القديمة، وتنميطه في ثقافة معينة، وتدجينه وفقا لمؤسسات سلطوية محددة، مسألة مرفوضة في اللاشعور الجمعي للأمازيغ، واللطيف في الشخصية الأمازيغية قبول الآخر، والقدرة الرهيبة في التعايش معه.

## الهوامـــش:

**1)** سالوستوس، الحرب على يوغرطه، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي.

**2)** النسبة محل خلاف بين النخبة الجزائرية، على قاعدة أنّ نسبة :جزائري مرتبطة بتاريخ تسمية الجزائر، ولوكيوس الذي ولد بمدينة مداورش الجزائرية، والذي ظل محتفظا بنسبته إلى بلدته، لا يعد جزائريا بحجة عدم وجود حدود للجزائر آنذاك.

**3)** لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي،ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، بيروت،الطبعة الثالثة،2004 ص:41

**4)** الحروب البونية أو الحروب الفونية أو الحروب البونية مصطلحات على اختلافها تدل على مدلول واحد ألا وهو الحروب الثلاثة دارت بين روما و قرطاج، وعرفت بهذا الاسم البونية لأن اللفظ اللاتيني لكلمة قرطاجي كان بونيكي Punici.

**5)** عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، دار النشر: IDGL المغرب، ط:2 2010 ص:47

**6)** المرجع نفسه، ص:107

**7)** شارل اندريه جوليان، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969 ص : 251

**8)** محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط 1989 ص: 80

**9)** الجيتول هم امة بربرية سكنت الصحراء الكبرى من قلب فزان في ليبيا إلى موريتانيا ....هم بدو رحل أسياد الرعي والماشية ...وهم أسلاف زناتة.

**10)** لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاصي، ص:33

**11)** ينظر الأزاهير الجزء 18 les Florides.

**12)** أول محاولة هي لــ"غايوس بيترونيوس أربيتر(66 م)"Petronuis Arbiter، وعنوانها Satyriconوأشهرها مأدبة تريمالخيو"، التي وصلت ناقصة بعد ضياع أجزاء منها.

**13)** خشيم (2011/1936 ) ولد في مصراتة تخرج في كلية الآداب، تخصص فلسفة، من كلية الآداب بالجامعة الليبية العام 1962ونال درجة الماجستير في الفلسفة من كلية الآداب من جامعة عين شمس، وحصل على درجة الدكتوراة في تخصص الفلسفة من كلية الدراسات الشرقية جامعة درم –بريطانيا العام 1971. وعمل الراحل، في بداية حياته الأكاديمية، محاضرا بكلية آداب الجامعة الليبية في بنغازي وفي جامعة طرابلس، وفي

مركز بحوث العلوم الإنسانية بطرابلس .كما ظل يشغل وظيفة أمين عام مجمع اللغة العربية .كما شغل الراحل وظيفة وكيل وزارة الإعلام والثقافة في ليبيا خلال 1972 -1971، بالإضافة إلى موقع نائب رئيس المجلس التنفيذي لليونسكو في باريس ما بين .1987 – 1980له مؤلفات عدة: النزعة العقلية في تفكير المعتزلة : دراسة في قضايا العقل والحرية عند أهل العدل والتوحيد، الجبائيان :أبو علي وأبوهاشم بحث في مواطن القوة والضعف عند المعتزلة في قمة ازدهارهم وبداية انهيارهم، أحمد زروق والزروقية :دراسة عن أحد أعلام التصوف الإسلامي في شمال افريقيا.، حديث الأحاديث مناقشة صريحة لآراء وأفكار الشيخ محمد متولي الشعراوي، البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة، آلهة مصر العربية في مجلدين دراسة موسعة للدين واللغة في مصر القديمة لإثبات عروبتهما.

**14)** يذكر المفكر علي خشيم أسباب اختياره لفظ الجحش بديلا عن الحمار في حوار معه، فيقول:إن كلمة (ألآس) بالإنجليزية تترجم عادة بالحمار، بينما الحمار في الإنجليزية هو (دنكي). و في تقديري، إن كلمة ''جحش'' أكثر طنينا في الأذن، علاوة على تطابقها مع السخرية التي تتضمنها الشخصية الروائية و طابعها المرح، ولما كانت كلمة حمار متداولة، في مختلف الآداب العربية و العالمية، أكثر من كلمة جحش، فأنني ارتأيت اختيارها. أولا بسبب رنينها الخاص، و ثانيا لان أبوليوس كان شابا عندما كتب الرواية، و ثالثا لان الحمار يرمز للكبر في السن، بعكس ''الجحش''، و باعتبار ان الترجمة تفترض الدقة في التعبير فأنني اعتقد بأن كلمة ''جحش'' أكثر دلالة في هذا العمل من كلمة حمار.

**15)** فتحي التريكي، وآخرون، الفلسفة في تونس، فلاسفة قرطاج، مخبر الفيلاب تونس 2010 ص : 34.

**16)** لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص:13.

**17)** عبد السلام بن ميس، مرجع سابق، ص: 109.

**18)** المرجع نفسه، ص: 108

**19)** لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاصي، ص ص :12/11

**20)** عبد السلام بن ميس، مرجع سابق، ص : 109

**21)** شارل اندريه جوليان،تاريخ أفريقيا الشمالية،تر محمد مزالي،البشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر 1969 ص:252

**22)** أديب، و مؤرخ مغربي و لد في 1937 بالرباط، له مؤلفات عديدة: خطاب المنهج، منشورات السفير مكناس 1990، ثقافة الصحراء، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1978. وحدة المغرب المذهبية من خلال التاريخ، الدار البيضاء، الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، 1986...

**23)** عباس الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، الجزء الأول، ط 2، مكتبة المعارف، الرباط ص: 29.

**24)** عبد السلام بن ميس، مرجع سابق ، ص:48.

**25)** لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاصي، ص

**26)** تيرينيس أو ترنتيوس آفر كاتب إفريقي من الجزائر عاش في روما كعبد ولذا كان يدعى Afer يحمل جنسية رومانية. ومن أهم أعماله المسرحية: فتاة أندروس، والحماة، والمعذب نفسه، والخصي، وفورميو، والأخوان.

**27)** محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط 1989 ص: 78.

**28)** حندايـــن محمد، مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الأمازيغي 1992 ص: 47.

**29)** فتحي التريكي، وآخرون، الفلسفة في تونس، فلاسفة قرطاج، مخبر الفيلاب تونس 2010 ص : 43 .

**30)** لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، ترجمة :عمار الجلاصي، 2000 ص : 7.

**31)** فتحي التريكي، وآخرون، الفلسفة في تونس، مرجع سابق ص : 44

**32)** لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر 2001 ص :79

**33)** لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاصي، ص:79

**34)** لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي ترجمة أبو العيد دودو ، مرجع سابق، ص:231

**35)** اسماعيل غزالي، مكر الكتابة، هوامش حول رواية الحمار الذهبي، جريدة الاتحاد 03 ابريل2014

**36)** المرجع نفسه.

**37)** لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، مرجع سابق، ص: 236

**38)** لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، مرجع سابق، ص: 43

**39)** لوكيوس أبوليوس، المرافعة، ترجمة عمار الجلاصي، ص: 19.